محاضرة أنثروبولوجيا الصحة

مقدمة:

الكثير من الانثروبولوجيين يؤكدون على العلاقة الوثيقة من الممارسات الطبية والمعتقدات الشعبية السائدة في المجتمعن ولعل اعمال ريفرز حول الطب والدين لدليل على توضيح هذه العلاقة في مجتمعات معينة، حيث ركز في دراسته على الممارسات العلاجية كنسق ثقافي، فالمعتق يؤثر على الفرد المريض في تفضيله للعلاج الشعبي التقليدي او الرسمي الحديث.

تعريف الانثروبولوجيا الصحية:

الانثروبولوجيا الطبية او انثروبولوجيا الصحة هي دراسة كلية مقارنة للثقافة ومدى تأثيرها على المرض والرعاية الصحية.

وتركز الانثروبولوجيا الطبية على دراسة تأثير او علاقة الثقافة بالصحة والمرض من خلال:

1-مساهمة الثقافة في صناعة تمثلات الصحة والمرض

2- تعمل الثقافة على تحديد طريقة انتشار المرض او الحد منه

3- تعمل الثقافة على ابراز مفهوم المرض وكيفية الاستجابة له

4- تتحكم الثقافة في مدى استجابة الفرد ومدى تفاعله وتقبله للاساليب الطبية الحديثة.

السياق الثقافي يؤدي الى الاختلاف في ظواهر الصحة والمرض:

لقد اكدت دراسات عديدة ان الاختلاف في ظواهر الصحة والمرض انما يرجع الى تباين السياق الثقافي الذي تعيش في اطاره الجماعات الاجتماعية والعرقية، ففي بعض المناطق على سبيل المثال يسكن الافارقة بجوار الهنود الحمر في نفس المكان في مجتمعات متعددة، ورغم ذلك توجد اختلافات كبيرة في طبيعة المرض المنتشر بينهما وانواعها، ويرجع الاختلاف بين الجماعتين في العادات والتقاليد ونمط الحياة، حيث اتضح ان الافارقة يتمتعون بمستوى افضل من الدخل واقل ازدحاما في السكن، والمرأة حاصلة على قدر من التعليم الرسمي وتجنب عدد اقل من الاولاد، كما أن لديها وعيا فنيا في فن التوليد ورعاية الجنين ما هو غير متاح لدى الهنود.

ويذكر الدكتور يعقوب يوسف الكندري في كتابه الثقافة والصحة والمرض(2003) ان فنلندا وهي من المجتمعات التي تتسم بمعدلات عالية في حدوث وانتشار امراض شرايين

القلب في العالم، حيث وجد ان المجموعات السكانية تسمى لابس Lapps تتسم بانخفاض معدلات المرض بين افرادها مقارنة بباقي افراد المجتمع، بينما تتسم مجموعة اخرى سكانية وتدعى فنس بمعدلات عالية من المرض ويرجع ذلك الى العوامل الثقافية والبيئية المتنوعة مثل اسلوب الحياة ونمط التغذية والتباين السلالي ومدى قدرة الجماعة على التكيف مع بيئتها.

كما ان هناك تفاوتا في معدلات الاصابة بالامراض المعدية بين بعض الجماعات العرقية في اوروبا وامريكا، فالمواطنون السود والوافدون الاسيويون، كان معدل انتشار الفيروس بينهم أكبر من الجماعات الاخرى، وخاصة الاوروبيين والامريكيين البيض.

ومن جهة اخرى يرى علماء الانثروبولوجيا ان السياق الثقافي هو من يحدد الحلات التي يمكن ان تعد مرضا، او لاتعد كذلك، كما يحدد الاسباب التي ادت الى حدوثها، والاشخاص الذين لديهم السلطة المشروعة لتقدير وتحديد هذه الحالات، يعني ذلك ان الثقافة تحدد تعريفا للمرض يختلف عن التعريف الطبي او العلمي للمرض، وبالتالي تتباين الاستجابة للمرض من ثقافة لثقافة.

ويميز الباحثون في مجال علم الاجتماع الطبي لغويا بين عدة مصطلحات تشير الى مفهوم المرض في اللغة الانجليزية، وهذه المصطلحات هي:

1- المرض بالمفهوم الطبي: Disease والذي يشير الى الحالة الموضوعية الفيزيقية والتي قد تؤدي الى خلل في وظائف الجسم، ومن امثلة ذلك مرض السرطان، السكر، ارتفاع ضغط الدم، ...وقد تظهر اعراض المرض وقد لا تظهر وقد تكون تلك الاعراض موضوعية كارتفاع درجة الحرارة او ذاتية كالشعور بالالم.
2- illness:ويشير الى الاحساس بوجود مرض فهو ظاهرة سيكولوجية تتمثل في احساس الفرد بأنه ليس في حالة جيدة مثل الشعور بالضعف أو الغثيان، او الدوار وقد ينتج ذلك على تجارب غير سارة مثل فقد الوظيفة او وفاة احد الاقارب.
3- أما مصطلح sikness: فيشير الى التعريف الاجتماعي الثقافي للمرض، اي مدى اتفاق ثقافة المجتمع على ان المعاناة من شيء ما تعد مرضا او لا تعد كذلك، فعندما يتفق افراد المجتمع على ان شيئا ما يعد مرضا فإنهم يشكلون أفكارهم وأنماط سلوكهم وتوقعاتهم بناء على هذا الاتفاق.

فهناك حالات معينة لا يعتبرها الطب امراضا اومشكلات صحية تستلزم التدخل العلاجي، رغم ذلك غان بعض الافراد في بعض المجتمعات ينظرون اليها كمرض يتطلب العلاج مثال: وجود عيب في الوجه او الاسنان او اصبع زائد في الكف او القدم كل تلك الحالات غالبا ما يذهب الافراد لطلب العلاج الطبي حتى يكون الفرد مقبولا اجتماعيا وقادرا على التفاعل الاج البناء.

وعلى العكس من ذلك نجد حالات يعتبرها الطب امراضا تستلزم العلاج ولا يعتبرها افراد المجتمع مرضا على الاطلاق، فقد لاحظ علماء الانثروبولوجيا في احدى قبائل الهنود الحمر في امريكا الشمالية وجود مرض جلدي معدي، وهو ظهور بقع حمراء على جسم الطفل الوليد، وأصبح هذا المرض واسع الانتشار لدرجة ان الطفل الذي يولد ولا يصاب به يعدونه مريضا بل ويتعرض للتهميش أحيانا، والتمييز الاجتماعي عندما يكبر.

وفي المجتمع الريفي المصري ان كثيرا من الاباء والامهات يعتقدون انه من اللازم ان يصاب الطفل بمرض الحصبة حتى يكتمل نموه بشكل صحيح وكأن الحصبة جزء من التطور الطبيعي لنمو الطفل حتى انه كانت الاسرة التي يصاب ابنائها بالحصبة تصاب بحالة من الذعر والقلق لدرجة انها تتوجه للعيادات الصحية لمعرفة السبب.

ومن الطريف ان الحصبة كانت تسمى عندهم بالمبروكة قديما وكان الطفل المصاب بها يخشى عليه من الحسد، فيترك في الشارع في مظهر سيء ويلبسونه جلبابا احمر حتى لا يعرف بإصابته بالحصبة.

ويؤكد علماء الاجتماع الطبي ان مفاهيم المرض لا تخلو من القيم الاخلاقية والاجتماعية، فالمرض يتم تقييمه او تفسيره من جانب جماعة معينة بانه نتيجة رتكاب الفرد لذنب كبير وان المرض نتج عن انحراف عن المعايير السليمة في المجتمع، لذلك قد يعاقب المريض أحيانا تبعا لذلك.

مداخل الانثروبولوجيا الطبية:

يوجد مدخلان أساسيان للانثروبولوجيا الطبية هما: المداخل الثقافية، والمداخل الثقافية والبيولوجية، نوضحها في الشكل التالي:

شكل يوضح المداخل الثقافية للانثروبولوجيا الطبية

شكل

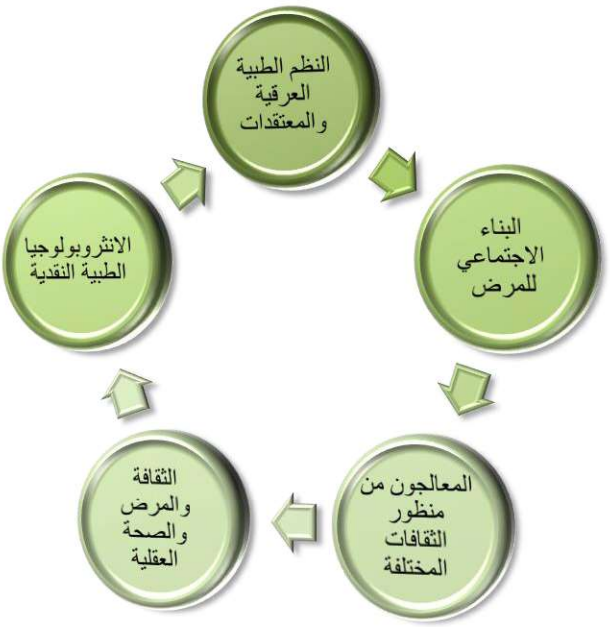

شكل يوضح المداخل الثقافية البيولوجية للانثروبولوجيا الطبية